

الفصل السابع

[الفاصل السابع]

الزهد الحقيقي

والذى أجمع عليه العارفون أن الزهد مسفر القلب من وطن الدنيا ، وأخذه فى منازل الآخرة ، وعلى هذا صنف المتقدمون كتب الزهد ، كالزهد لعبد الله ابن المبارك وللإمام أحمد لو كيع ولهناد بن السرى وغيرهم .

ومتعلقه ستة أشياء ، ولا يستحق العبد اسم (الزاهد) حتى يزهد فيها وهى المال والصور والرياسة والناس والنفس وما دون الله .

وليس المراد رفضها من الملك ، فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانها ولهما من المال والملك والنساء ما لهما ، وكان نبيينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة وكان على ابنه أسير المناجيد زاهد الرحمن بن عوف والزيير وعثمان رضى الله عنهم من الزهاد مع ما كانت بهم من الأموال ، وكان الحسن بن على رضى الله عنهما من الزهاد وكان له رأس مال يقول : لولا هو لتمنل بنا هؤلاء .

ومن أحسن ما قيل فى الزهد كلام الحسن أو غيره وليس الزهد فى الدنيا بتحريم الحلال ، ولا إضاعة المال ، ولكن أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك ، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو لم تصبك .

أقوال وأشعار

١٣٧

- ١ - أملك نفسك عند الغضب . ٢ - وعظ أخاه
- ٣ - ندعو فلا يُسْجِب لنا . ٤ - من أدوية القلب
- ٥ - اليسر من الدليل . ٦ - جالسوا العلماء
- ٧ - من واحة الشعير . ٨ - غنى النفس
- ٩ - ذنوب كثيرة . ١٠ - دين الحق
- ١١ - عابد الحرمين . ١٢ - الأخلاق
- ١٣ - فضل السكوت . ١٤ - أمك عليك لسانك
- ١٥ - قال الشاعر . ١٦ - لسان اللغة العربية
- ١٧ - قال الإمام الشافعي . ١٨ - قال الممزر
- ١٩ - العبد المستجاب . ٢٠ - نسل هارون وفرعون
- ٢١ - أنا التمسك به . ٢٢ - أحد الطفاه
- ٢٣ - الدنيا والآخرة . ٢٤ - أهل الخطايا
- ٢٥ - ميزان الناس . ٢٦ - مراتب العلم
- ٢٧ - العالم اليوم . ٢٨ - خبر المخادث
- ٢٩ - لا تكن . ٣٠ - تان

١ - أملك نفسك عند الغضب :

قال أبو الدرداء رضي الله عنه لرجل أسمع كلاماً :

يا هذا لا تفرقن في سبنا ودع للصالح موضعاً فإننا
لا نكافي من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه

٢ - وعظ أخاه :

من وعظ أخاه سرّاً فقد سره وزانه ومن وعظه علانية فقد ساءه وشانه .

٣ - فدعوا فلا يستجاب لنا :

سئل إبراهيم بن أدهم ما لنا ندعوا فلا يستجاب لنا ؟ فقال : لأنكم
عرفتم الله فلم تطيعوه ، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته ، وعرفتم القرآن فلم
تعملوا به ، وأكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها ، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها ،
وعرفتم النار فلم تهربوا منها ، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه وواققتموه ، وعرفتم
الموت فلم تستعدوا له ، ودفتنم الأموات فلم تعتبروا ، وتركتم عيوبكم واشتغلتم
بعيوب الناس .

٤ - من أدوية القلب :

قال أحد الحكماء : دواء القلب في خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ،
وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

٥ - اليسير من الذلل :

قال حكيم : ينبغي للعاقل أن لا يستصغر شيئاً من الخطأ والذل فإنه متى ما استصغر الصغير يوشك أن يقع في الكبير ، فقد رأينا الملك يؤتى من العدو المحتضر ، ورأينا الصحة تؤتى من الداء اليسير ، ورأينا الأنهار تتدفق من الجدول الصغير .

٦ - جالسوا العلماء :

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما لإبنه :
يا بني إذا جالست العلماء فكن علي أن تسمع أحرص منك على أن تقول ،
وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت ولا تقطع على أحد حديثه
وإن طال حتى يمسك .

٧ - من واحة الشعر :

الظريف حقاً :

ليس الظريف بكامل في ظرفه
فإذا تورع عن محارم ربه
حتى يكون عن الحرام عفيفاً
فهناك يدعي في الإنام ظريفاً

٨ - غني النفس :

النفس تجزع أن تكون فقيره
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت
والفقر خير من غنى يطفئها
فجميع ما في الأرض لا يكفيها

٩ - ذنوب كثيرة :

قال أبو نواس :

يارب إن عظمت ذنوبى كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم

١٠ - دين الحق :

قال أبو طالب بن عبد المطلب لرسول الله ﷺ :

والله لن يصلو إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفيناً
فامض لأمرك قد زعمتك ناصحى فلقد صدقت وكنت ثم أميناً
وعرضت ديناً قد عرفتُ بأنه من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذار مسبه لوجدتنى سمحاً بذاك يقيناً

١١ - عابد الحرمين :

أرسل عبد الله بن المبارك قصيدة إلى الفضيل بن عياض يستحثه على
الجهاد والغزو وكان يعتكف فى الحرم للزهد والعبادة فقال فيها :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك فى العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله فى باطل فخيولنا يوم الكريهه تتعب

١٢ - الأخلاق :

قال أحمد شوقي في قصيدة العلم والمعلم والتعليم :

إن الشجاعة في القلوب كثيرة
وإذا أصيب القوم في أخلاقهم
ووجدت شجمان العقول قليلاً
فأقم عليهم مأتماً وعويلاً

١٣ - فضل السكوت :

إن كان يعجبك السكوت فإنه
ولئن ندمت على سكوتك مرة
زرع الكلام عداوة وضاراً
إن السكوت سلامة ولربما

١٤ - أمسك عليك لسانك :

إذا شئت تحيا سليماً من الأذى
لسانك لا تذكر به عورة امرئ
فكلك عورات وللناس ألسن
فخير من إجابته السكوت
وإن خليت كمدأ يموت
فإن كلمته فرجت عنه

١٥ - قال الشاعر :

قال الشاعر طرفه بن العبد البكرى :

لعمرك ما الأيام إلا معاره
عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه
فما أسطمت من معروف فتزود
لعمرك ما أدرى وإنى لواجل

١٦ - لسان اللغة العربية :

قال حافظ إبراهيم هذان البيتان يتحدث فيهما بلسان اللغة العربية :

وسمت كتاب الله لفظاً وغاية	وماضقت عن أى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله	وتنسيق أسماء المخترعات

١٧ - قال الإمام الشافعي :

قال الإمام الشافعي :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى	ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضائق فلما استحسنت حلقاتها	فرجت وكنت أظنها لا تفرج

١٨ - قال السموأل :

قال السموأل :

نعيرنا أنا قليل عديدنا	فقلت لها أن الكرام قليل
------------------------	-------------------------

١٩ - العتاب :

قال بشار بن برد :

إذا كانت في كل الأمور معاتباً	صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
-------------------------------	-----------------------------

٢٠ - نسل هارون وفرعون :

انظر ليوسف إذا عاداه إخوته	فجرعوه من الإيذاء ألوانا
رأوه شمساً وهم في جنبه سرج	رأوا أباهم بهذا النور ولهاناً

ليبعدوا عنه وجهاً كان فتناً
باعوه كالشاه لم يرعوا له شانا
عبداً وكان فى السجن ما كانا
فلا تلم نسل فرعون وهامانا

فدبروها بظلماء مؤامرة
ألقوه فى الحب ولم يرعو طفولته
وعاش يوسف دهرأ يخدم إمرأه
إن يكن نسل يعقوب كذا فعلوا

٢١ - أنا العبد :

وصدته الأمانى أن يتوباً
على زلاته قلقاً كئيباً
صحائف لم يخف فيها الرقيا
فلم أرع الشيبه والمشيا
وقد وافيت بابكم منيباً
إليكم فادفعوا عنى الخطوباً
وكنت على الوفاء به كذبوباً
ولم أكسب به إلا الذنوباً
يوم يجعل الولدان شيباً
إذا زفرت وأقلقت القلوباً
إذا ما أبدت الصحف العيوباً
خطاه أما يأتى لك أن تتوباً
رأينا لكل مجهد نصيباً
وكن فى هذه الدينا غريباً
تكن عبداً إلى الموالى حبيباً

أنا العبد الذى كسب الذنوباً
أنا العبد الذى أضحى حزينا
أنا العبد الذى سطرت عليه
أنا العبد المفرط ضاع عمرى
أنا العبد الشرير ظلمت نفسى
أنا العبد الفقير مددت كفى
أنا الغدار كم عاهدت عهداً
فيا أسفى على عمر تقضى
وياحزنه من تشرى وحشرى
وياحذراه من نار تُلظى
يا خجله من قبح اكتسابى
فيا من فى كسب الخطايا
ألا فاقلع وتب واجها فإننا
وكن للصالحين أخا وخلأ
ولاحظ زينة الدنيا ينفض

ولا تطلق لسانك في كلام
وكن متصدقاً سرّاً وجهراً
يجد ما قدمته يدك خلاً
يجر عليك أحقاداً وحسباً
ولا تبخل وكن سمحاً وهوباً
إذا ما اشتد بالناس الكروباً

٢٢ - أحد الطغاة :

قال يوسف القرضاوى - حفظه الله - وهو يصف أحد الطغاة :
إني هنا القانون أعلى سلطة
من منكموا سامحته فبرحمتي
يا فارس الوادى وقائد سجنه
هلا ذهبت إلى الحدود حميتها
إذهب لغزه ياهمام وأنسا
أفضدنا كبش النطاح ونعجه
فمن ذا يحاسب سلطة القانون
وإذا أبيت فذاك طوع يمينى
أبنو الكنانة أم بنو صهيون
وأريتنا أفكار نابليون
بجهادك الدامى صلاح الدين
فى الحرب جماء بغير قرون

٢٣ - الدنيا والآخرة :

وعن عبد الرحمن البصرى قال : قال رجل لسفيان : أوصنى قال : اعمل
للدنيا بقدر بقائك فيها وللآخرة بقدر بقائك فيها ، والسلام .

٢٤ - أهل الخطايا :

قال محمد بن سيرين : كنا نحدث أن أكثر الناس خطايا أفرغهم لذكر
خطايا الناس .

٢٥ - ميزان الناس :

قال الماوردي : أضعف الناس من ضعف على كتمان سره وأقواهم من قوى على غضبه وأصبرهم من ستر فاقته وأغناهم من قنع بما تيسر له .

٢٦ - مراتب العلم :

قال سفيان : أول العلم الإنصات ، ثم الاستماع ، ثم الحفظ ، ثم العمل به ثم النشر .

٢٧ - العالم اليوم :

قال عبد الرحمن صالح المشماوي :

العالم اليوم بالأحداث منشغل	ونحن عن تلكم الأحداث فى شغل
ظلت خلافتنا تفرى عزائمنا	الفرب فى جده والعرب فى هزل
وكيف نطمع فى نصر نعيد به	أمجادنا دونما سعى ولا عمل

٢٨ - خير المحادث :

قال المتنبي :

خير المحادث والجليس كتاب
تخلو به إن ملك الأصحاب

٢٩ - لا تكن :

لا تكن لله ولياً فى العلانية وعدوه فى السر ولا تكن عدو إيليس ، والنفس والشهوات فى العلانية وصديقهم فى السر .

٣٠ - قان ،

قال الإمام أحمد بن حنبل :

تأن ولا تعجل لأمر تريده

وكن راحماً للناس تلبى براحم